

سَيِّدَاتُنَا

آية محمد بماد

تأليف
آية محمد بماد

دار
المعرفة
www.daralmaarifah.com

سكوتا

مجموعة قصصية
آية محمد حماد

إلى زوجي
أول من نبهني إلى خطأ مقولة "وراء كل رجل
عظيم امرأة"، مؤكداً أن العظماء وحدهم من
يجعلون المرأة إلى جانبهم دائماً.
فخورة بانتمائي إليك.

إهداء

إلى تلك الانحناءة التي تجتذب الجميع لتحول
النون في أنا وأنت إلى استدارة تتسع
لجميعهم بفعل الحب الذي يستوطن الهاء

أنا وأنت وتلك الأشياء التي لا تبدو روعتها إلا عند
حافة النهاية
تتداخل صورنا على صفحة الدمع الصافية وتبدو
وكأنها أكثر نقاءً
جسدان بدون وجوه
تتداخل المشاعر بين ذكريات رائعة ووداع قاس
مما يجعل للمشهد بريق أخاذ
ونذوب أكثر... ونتحد أكثر... وننتهي

مواسم الضجيج

أقف أمامها صامته متأملة عقاربها مستسلمة
لضجيج دقاتها داخلي
تلك التي أهديتني إياها كي تذكرني دقاتها
بموعد عودتك اليومي إلى المنزل
رحلت أنت و ظلت هي لتذكرني بكل شيء سوا
عودتك
تك تك
تعلن إشارات ضبط الوقت الرابعة فجرا بتوقيت
الذاكرة
لا شيء يدوم كحلم عودتك الذي يوقظني في ذات
التوقيت كل ليلة
أستيقظ لأعيد على قلبي مراسم رحيلك وكأنك
قررت في تلك الليلة أن تكون النهاية
استعيد نظراتك شحوب وجهك و كلماتك التي لم
تنطق بها

اردد على روعي آيات السكينة و أغمض عيني
على بعض الدمعات الهاربة
وأغفو من جديد
تك تك
تعلن إشارات ضبط الوقت الثانية ظهرا بتوقيت
الفراق
كل شيء يدوم سواك حقيقة كان على اليقين بها
منذ البداية
فمنذ رحيلك ومازالت الدقات تُسمعني أنين دموعي
عند قدميك
وأنت تستجمع ما تبقى من عشقي داخل كفي
تقذفنا بعيدا
لازلت انتظر ساعة فراقك كل يوم لأسألهما ما كانت
دوافعك لتفعل
وما كانت دوافعها لتأتى لي بالفراق
تك تك
لم تعلن إشارات ضبط الوقت شيء ولكنى ارجوها
أن تتوقف

كي أعيد عليك مراحل نمو ذلك الصبي الذي
يشبهك حد التوحد
علك تتذكر أبوتك له عل شيء ما يتأثر بداخلك
ذات أمس قريب سألني عنك وأجابه صمتي لديك
أب لا يريدك
فهل كانت إجابتي لترضيه كما ارتضيتها أنت
وكلما تذكرتك أن تلك إجابتك في الأساس تمنيت
لو أن الساعات توقفت
قبل أن تجيب لتنتهي الحياة
تك تك
تعن إشارات ضبط الوقت أن جميع الساعات
متاحة للحنين
لا شيء يتوقف وان حاولت جاهدة لذلك كالحنين
إليك
رغم كل شيء ولازال الحنين إليك هو سيد الموقف
و سيد القلب
أريد أن أعود لأيام رفاهيتي العاطفية معك أريد
أن اجمع من عينيك أحلامي

و أضم بك صغيري و نحتمي بحنانك الذي لا
اعلم من سلبك إياه
لكن لا شيء يتوقف حتى وان كانت قسوتك الغير
مبررة على نفسك وعلينا
وتستمر الدقات وتستمر الحياة ويعوق عودتنا
فروق التوقيت

الأفكار المسيطرة على ذهني أن الزمن القادم من
الخلف

لم يتلون مطلقا ولكنه اكتفى بالأبيض والأسود
ف هل كان صادق إلى هذا الحد ؟
أم أن وحدهن الجميلات يمتلكن قلب أبيض وذاكرة
سوداء؟

احتراق

بنظرات حادة كادت تخترق قلبها لاقتها عيناه بعد
خمسة أعوام من الفراق، رغم كون يداه تتوسد
راحت أثني سواها لا يزال قلبه يهفو خلفها أينما
اتجهت

لو بإمكانه أن يهم ليستجوبها كعادته لما قصرت
شعرها وهي تعلم أنه يحبه طويلاً، ولما ترتدي
البنطال ألم يخبرها مراراً أن التنورات تليق لها
أكثر، وكيف تسمح لغيره أن يحتضن معصمها
هكذا

لو أنه يستطيع أن يتوسل إليها كي يعودا لحظة
واحدة إلى الوراء كم يتمنى لو تخبره أنها لا تزال
تشعر به
تبدو الأمور جميعها مستحيلة فكلا منهما ملك
لآخر لا يدري أنهما كانا عند لقاء سابق عاشقان

فيعود بذهنه وحيداً إلى مقهى في نهاية شارع
الجامعة وإلى تلك الطاولة تحديداً
حيث كان ينقش حروف أسمها الثلاثي معكوساً
ويخبرها أنه يخفيها في ذاته فتضحك وتجيبه بل
أنها أنايتك
بأن تكتب حروفك أنت و تقنعني بقصدك لي ...
هل كنت أناني معها إلى هذا الحد حقاً... ربما
نعم
ربما تفوقت أنايتي على حبي لذا عاقبتني نفسي
بألا أنساها
وبينما هو في شرود حانق إذ بيد زوجته تربت
على كتفه
- تبدو متعباً أترغب في الرحيل
- لا لا أنا بخير هل مللتِ
- على العكس فالحفل يستهويني كثيراً
- جيد فلنبق إذاً

و بهدوء خانق يسحب يده من بين يديها و يخرج
سيجارة تلو الأخرى ليزفر من خلالها عبرات الحب
المتقدة

لتتبدل نظرتة لها وكأنه يقرأ في وجهها تفاصيل
الماضي السعيد

الذي ما رآه بذلك القدر من الجمال يوماً إلا بعد
ضياعه من بين يديه

- أعشق ابتسامتك

- أنت صانعها

- لما تؤولين كل شيء إلي أنتِ جميلة بدوني

- لم أراني جميلة يوماً إلا عندما انتسبت إليك

يلقي تساءل في الفراغ لا يسمعه سواه وهو

ينتهي من سيجارته الثامنة، هل ترين نفسك أجمل

الآن مثلما أراكي؟

لتلفت هي فجأة لتودع وزوجها أصدقائهما فتلتقي

أعينهم على عجل فتعلو ضحكاتهما بكبرياء

و كأنها تجيب على تساؤله دون أن تدرك ذلك...

الفتيات كلهن جميلات حالمات
يستبشرن بأقل الأمور و يبتهجن
ينتظرن العلامات كي تمنحن ابتسامة يتبعها
هالة من الأفكار والأحلام وكأنهن للتو وصلن
للسماء

خيوط النور المتدفقة من العلامات إلى نبضات
قلوبهن البائسة
تصنع من اجلهن قوس قزح ملون بالفرح
الفتيات كلهن طبيبات بسيطات
ينظرن إلى السماء و يرددن يارب
ويبحثن عن أي إشارة بسيطة إلى قبول دعوتهن
كلمات تصادفها أعينهن أو دعاء من إحداهن
و ربما نبوءة غير موجهه لها تحديدا
وحدها قلوبهن من يدرك وقع العلامات على
الأنفس الطامعة للاطمئنان
الفتيات كلهن ينتظرن العلامات
ومثلهن هي

شجرة التوت

ذلك الصبي الذي كان يتحدث في الصباح الباكر
عن " التخته " التي يجلس عليها
وكأنها مسرح حياته الذي يقوم من خلاله بجميع
الأدوار
والنافذة المجاورة له والتي يطل منها على الحياة
والأحلام والمستحيل
وكأنهم فروع لتلك الشجرة المتكأه على حائط غرفته
كان يبتسم بزهو وهو يسرد على والدته تفاصيل
مغامراته عبر تختته ونافذته و شجرة التوت
لكنها لم تجبه بأي شيء لم تلتفت إليه مطلقا إلا
انه تابع الحكى وازدادت ضحكاته براءة
وهو يخبرها أن " سلمى " هي الأخرى كانت
صامته عندما أهداها ما جمعه من التوت
وأطال حديثه عن سلمى و ارتباطها بشجرة التوت

حماسه في الحديث ينم عن ثقته أن شخصا ما
يسمعه ويجيبه بما لا نسمعه نحن هكذا خيل لي
أغراني التوت أن أكتب عنه و أغرتني ابتسامته أن
أتتبعه
لا أنكر إنني بحثت عن شجرة التوت كي انعم
ببعض الأحلام مثله لكنى عندما وجدتها
كانت هناك " سلمى " والتي كانت جالسة تتجول
بنظرها في المكان لكنها لا تحدث أحدا
اقتربت منها فنظرت لي برهبة في بداية الأمر
ولكن بمجرد أن ابتسمت لها
حولت عينيها عنى و كأنني شيء لم يكن
أخبرتها عن اسمي و عن رغبتني في الحديث معها
لكنها نظرت إلى بابتسامة مصطنعة و غادرت
يبدو أنها متعالية بعض الشيء فلا هي حادثتني
ولا شكرت من أهداها التوت
ثم علا صوت الصبي بحماس مثير للفضول

- اعشق ذلك الإحساس بانتمائي لهم... ذلك
الإحساس بالحرية عندما تتوطن بك القيود ولا
سبيل لديك سوى الاستسلام
تقاطعه والدته :

- الحرية داخلك منبعها إيمانك بما أنت فيه
وبحكمه الله في ذلك
فعاد يكمل وصفه للحرية مؤكداً أن اختلاف
المسميات لا يعنيه

فقط هو حريص على الصلاة و قراءة القرآن رغبة
في أن يجمعه الله بهم في الجنة
فلا نهاية سوى الجنة تنتظرهم وهو لا يريد أن
يفقد انتمائه إليهم

نظرت إليه بابتسامة عميقة عمق ذلك الألم الذي
اجتاحني حينها وتحولت ببصري تجاه سلمى
فعندما وصلت حيث الصبي ووالدته ، وجدت
ثابتة مستقرة ترمقه بنظرات رقيقة
وهو يُرَبِّت على ذراعيها وكأنه يخبرها أن كل
الأمور على ما يرام

يخبرها انه سيكون بجوارها في الجنة أيضا
ليهدئها التوت
وبأن الجميع يصلى و يحفظ القرآن حتى " مينا
" يصلى ويدعو الله
جميعهم سيكون هناك
لكنها تجيبه دامعة العينين
- "إحنا أصلا مش هنموت هنخف ونعيش و نكبر
و نتجوز"
تحتضنها والدته وكأنها تحتضن ذلك الحلم الذي
ترجو الله أن يتحقق

أغمرني بحنان و تناول بعض دقائق القلب المرهقة
بفعل الذاكرة ...

وأخبرني من أحببت قبل أن تلقاني ومن هنا لا
تعنى أسمائهن ولكنها تستنكر أن تكون حقا فعلت
أسألني عن حبيبي السابق وليكن سؤالك قاسى
بحجم خذلانه

لأخبرك أنى ما أحببت من بني آدم سواك وان ما
عاداك ما هو إلا حماقات طفولية
تجاوز معي بحور الحب السبع و احكي لي قصة
حب حدثت منذ زمن بعيد كان بطلاها " نحن "

شهرزاد تحكي عن نفسها

بلغني أيها الملك السعيد ذو الطلة البهية
أن أميرة قلبك رغم تخطيها للعشرين مازالت طفلة
في كل تفاصيلها
تبتهج دون مقدمات وترسم لليوم ملامح ابتسامة
لتمضى الساعات مغمرة ف السعادة
وكثيرا ما تسبق دموعها الكلمات إذا أحست
بالحزن يقترب منها
فقلبها ورده نقية لا يجيد التعبير إلا بالندى
حتى وان علا صوت أحدهم معاتبا أو غاضبا وان
لم تكن هي سبب أي شيء
يوجعها إحساس الألم إذا ما أحسته يقترب من
أحدهم
تجيد انتقاء الأشياء رغم عدم إدراكها للقيم المادية
فآلاف الجنيهات تتساوى لديها مع بضعة نقود
فضية مادام ما سيشعرها بالسعادة
هو كوب من النسكافية يصحبه موسيقاها المفضلة

والأماكن لديها سواء الفرق يتبين بالصحة
لا تتطلع للكثير فأقصى ما تفضله أن تسير
لساعات متأمة آلاف النجمات وهن يقبلن وجه
النيل
عندما تصادق تخلص بلا حدود وحينما تحب يكن
هو محور حياتها
فلتقبل سذاجتها حينما تسألك في ما قد تظنه
توافه الأمور
وجنونها إذا طلبت منك شرح لصفات البشر
ووصف لضحكات القمر
قادرة على اصطحابك إلى سماوات الأحلام
الوردية وإهدائك زهرتها البنفسجية
كي تخبرك أنها احتفظت بطفولتها فقط " لك "
أن أميرتك لازالت نائمة تتابع الأحلام عليها ولا
تريد الاستيقاظ
وكلما هم أحدهم بالاقتراب منها أبعدته روحك
الطيبة التي تحميها

و يتساءل الجميع ..من أين أتيت إليها ؟ وكيف؟
ولم أنت على وجه التحديد ؟؟
وتجيبهم براءة ابتسامتها الخجولة لا أدري عن من
تسألون

وذات نهار جاءت الأحمال في ثوب ساحرة الحب
وأهدتها نصف التفاحة التي أهدتك إياها من قبل
وأوصتها أن تفتح لك الأبواب جميعها

- لا تكلمي دعيني أسألك
كانت هنا قبل أن تأتي إحداهن وكانت تحكى لي
عن سحرها و بهائها
أخبرتني أنّ الحياة دونها لا تستحق لكنها قط ما
أخبرتني عن أميرتي النائمة كما فعلت
أهذا يكفي كي أترك الدنيا خلفي و أحقق الأحلام
لأجل أميرتي ؟

- مولاي لا جواب لي في حضرتك فإنك أقدر على
الحكم و أعلم بالجواب
- فلتحدثيني أكثر عن الأميرات ؟

- بلغني عن الأميرات أنهن تحلمن بالحب فتدعون
الله وتخجلن من المجاهرة
- وماذا عن أميرتي
في ليلة مقمرة استخارت الله فيك و فتحت جميع
الأبواب لتستقبل البشارة
ومنذ أن فعلت وهى تنعم بذلك السحر الحلال
وبلغني فيما قد بلغني أنها تنتظر خبرا سعيدا
مبتدأه عندك و ما يضاف إليه منك

تأمل حديثها كثيرا ورغم حدسه المهني لم يكتشف
شيء
ربما تصطنع المرض ربما ليس لديها رغبة في
البوح لا أكثر
أوقف تسجيل جلسه اليوم وقال
- اشعر وكأن أنك الحديث ما بالك بالرسم

ابتسمت بترقب فأعطاها ورقه و قلم و طلب منها أن
ترسم نفسها كما تراها
فرسمت راقصه باليه يقيدها الهواء

رسالة بتوقيع المرسل إليه

" غدا عندما يدخلون قلبك الجريح يا حبيبي
أتراهم يقرؤون فيه أسمى؟؟ "
ماجدة الرومي

أطمئن يا حبيبي فالأمر ليس خطيرا إلى ذلك
الحد، فلتغفو قليلا ولا تفكر وسأظل مستيقظة إلى
جوارك أدعو لك
أرعبته الفحوصات الأخيرة حد انه غفا بالفعل أو
تظاهر بذلك ليذهب حيث " هي "
وضعت يدي على رأسه في محاولة للسيطرة على
تفكيره بحناني أأأأأه كم أتمنى ألا تذهب
مشفقة على قلبك بحجم حبي لك و بحجم خذلانك
لي
ظل يحتفظ بحبها طوال تسع سنوات حتى أضناه
الشوق و أعياه العشق
أتظن أنى طوال تلك السنوات لم أكن أعلم

أنتوقع أن محاولتك إسعادي والمبالغة في حبي
كانت ناجحة بل على العكس، كنت تقترب منى
مغمض العينين وكأنك تتلمسها من خلالي وكانت
أنفاسك تبحث عن رائحتها بى
هل ظننت أنى سأخطأ في شفتيك و هي تطبع
على يداي قبلة بعدما كادت تنادينني باسمها
مثلا خنتها معي في البداية فإنك تخونني معها
في كل لحظة
أتذكر قبل زواجنا بأيام عندما أخبرتني انك فقدت
بعض أوراقك
وعليك أن تتصل بها عليها تعرف أين وضعتهم،
حينها لم انزعج كثيرا فهي كانت يوما ما حبيبتيك
أما أنا فلم يبقى سوى أيام وأصبح زوجتك، كنت
أقف بعيدا وأنت تعبر الطريق وتمسك بهاتفك و
السعادة تغمر وجهك
ابتسامتك كانت حافزا لي كي أتتبع شفتيك وهما
تتحدثان

أخبرتها انك وجدت الأوراق وورقة منهم كنت قد
كتبت عليها أحبك، فتعلو ضحكاتك و ينير وجهك
أكثر لتخبرها كم كنت مجنون بها.

عندها أدت وجهي للجهة المقابلة، حتى أقنع
قلبي بأن الجملة انتهت عند ذلك وبأنك لم تعد
مجنون بها

لكنى كنت مخطأة فالجملة لم تنتهي بعد
تسع سنوات لم تكن كافية لتنتهي جملة قلتها وأنت
في قمة سعادتك

كنت أحاول دوما أن أغمرك بالحب و بمسببات
السعادة

كي أرى وجهك مبتهجا مثلما رأيته وأنت تحادثها
لكن لم يحدث مطلقا فابتسامتك لم تكن حقيقية
كانت عيناك تراوغ الدمع، وكأنها لا ترغب في
سعادة بدونها

اليوم عندما أخبرنا الطبيب ضرورة إجراء عملية
قلب مفتوح

لم أتمالك دموعي في حين تقبلت أنت الأمر
بابتسامه
فأنت ترغب في الاطمئنان عليها و أنا أخشى أن
ينفضح أمري
عندما يجدون اسم أخرى في قلب زوجي

هل لاحظت ذات يوم دمعاتي الهاربة أمام فيروز
وهي تكرر سؤالها عليك " كيفك انت " ...
لا أعلم حقا لما أرتجف ولما تلمع عيناى بحزن دفين
وانت تحديق بعيناى التى ترتسم أمام عينك الآن

مفترق طرق

إحدى ليالي سبتمبر الدافئة أنا وأنت نحتفل بعيد ميلادي وسيارتك تنطلق بحرية متلونة بإضاءة الطرقات الباريسية كل شيء يبدو مثالي إلا نحن صامتان على غير عادتنا خاصة في ليلة مولدي التي كنت تعتبرها يا يحيى بداية الحياة فكنت تعالي في الاحتفال اليوم بدت الحياة كعجوز في الستين صامته لم يعد يزيدنا العمر إلا خيبات متكررة ولا مبرر لديها للاحتفال هل شاخ حبنا يا يحيى رغم أن لهفتنا كانت سبب للعودة من جديد فماذا حدث لنا بعد ذلك كل شيء توقف مثلما توقفت سيارتك في تلك الإشارة الحمراء قطع اتصال داليا صمت الأجواء هنأنتني بعيد ميلادي وتمنت لنا الزواج والإنجاب في عامي المقبل فما عاد العمر يتسع لمزيد من جنون العشق و فقط أحببتها إن شاء الله ذلك على غير عادتي

معها لم أطيل الحديث حتى أنها شعرت بأني
لست بخير حديث داليا لم ينتشلني من أفكاري
فحسب ولكنه نبهني أن العمر لا يقف وحدك من
يمنع الشمس أن تمتد إلى أيامي فبت أنسى أن
الأيام تمضى
لابد أن انزل حالا قلتها وأنا افتح باب سيارتك قبل
أن تتحول الإشارة ويأخذنا الطريق مرة أخرى
ودون أن اترك لك مجال للرد ربما ناديني ولم
أسمعك وربما كنت شاردا في أفكارك ولم تشعر
بي كعادتك
عيبك الأكبر يا يحيي انك لا تحترم زكائي ولك
الحق بالطبع فكم كنت غبية لأعوام معك
خُيل إليك أنى لم أَلحظ تغير وجهك عندما استقبل
هاتفك رسالة
ما أن نظرت إليها حتى حدثتني عن عزمك على
تغيير رقم هاتفك
ما من شيء ليغير ما بك يا يحيي ما من شيء
على الإطلاق

ربما كان توقف سيارتك أمام الإشارة الحمراء
إنذار أخير لي حتى لا أكمل هل تكون تلك إشارة
القدر يا يحيي

حتما هي كذلك ففقدت كانت فرصتي الأخيرة
لأستعيد حريتي أريد أن أرى الشمس من جديد
لا أريد لعامي السابع والعشرون أن يبدأ هو
الآخر تحت سماء حبك الملبدة بالغيوم
استعمرتنى لأعوام يا يحيي ألم يكفيك ألم يحن
الوقت كي استرد كرامتي و حياتي و سنوات
عمري

استقبلتني داليا بقلق شديد لكنني لم انهار
كعادتي معك لم ادمع تخيل يا يحيي أخبرتها أنى
تركنت وعدت بمفردى
وبأن اليوم سأنتهي منك تابعتني بنظراتها
المستفهمة فتوجهت إلى غرفتي و بدأت في أن
أكتبك

بعد أن نشرت أول قصة لك و حدثتك حينها لما لا
تكتب رواية ولا سيما عنى اجبتنى بما قالته أحلام

"إننا نكتب الروايات لنقتل الأبطال لا غير و
نتتهي من الأشخاص الذين أصبح و جودهم عبأ
على حياتنا فكلما كتبنا عنهم فرغنا منهم و امتلأنا
بهواء نظيف " لذا سأكتب روايتي الأولى عنك
حتى وان كانت ستكشف كثيرا من أسراري إلا
إنني بعدها سأمتلئ بالهواء النظيف
تخيل حازم أن عدم إتمام زواجنا كان نتاج
استشارتي له والحقيقة أنى لم ارغب في الخوض
في تفسيرات أخرى
فقد قررت ألا افتح ذلك الموضوع مع أحد يكفى أن
اسرده على الورق
أصبحت مثلك تماما يا يحيي قلب أدماه الحب
فاشددت قسوته ما عاد يعنيني وجودك وما عاد
ينشغل فكرى بك
أنهى محاضراتي على عجل حتى أعود لأكمل
روايتي معك ومضت الأيام مسرعه وانتهيت من
دراستي

لكنى لم اشعر بلذة حصولي على الماجستير فقد
صرت لا أتذوق الفرح يا يحيي أحسبني أصبحت
مالحة فلتفخر بذلك

انتهى كل ما يربطني بالغرابة وغدا سأعود إلى
الإسكندرية هل تتنصل منى الإسكندرية يا يحيي
تلك البلد التي لم تحبها يوما البلد التي شهدت
هروبك الأعظم خذ لثك الأقوى وجرحى الأعظم
لم اشعر إلا بيد داليا تربت على كتفي وتخبرني
أن حازم ينتظرني بالخارج ليودعني
ودعته على عجل متحججه بترتيب أغراضي
فطأرتي ستقلع في السادسة صباحا
كان حازم قد اعتاد على معاملتي تلك خاصة بعد
مشاجرته معك ، رغم رفته معي إلا أن قسوتي
كانت تفوق كلانا خسر حازم يا يحيي
استقبلتني الإسكندرية بالمطر و تعلم كم أعشق
مطر الإسكندرية اعتبرته إشارة تنبئ بالخير
ربما كان في استقبال عائلتي أيضا ما ينبئ
بالخير

لكن كل شيء بالبيت كان يشعرنني بالضيق
قضيت ما يقرب من الشهرين أتحاشى الخروج
من غرفتي
حتى لا أتذكر انك يوما كنت في بيتي وكنت على
شفا خطوة من حلمي بك
أحلامي جميعها خذلتني يا يحيى فقد مر عامي
الثامن والعشرين دون أن أتزوج
فهل يأتي عامي الثلاثون بدون أمومتي ؟
تعلم يا يحيى روايتي قاربت على الانتهاء ، رغم
أنى لازلت أتحدث معك
لكن حديثي عن الزواج بغيرك دليل كافٍ على
شفائي منك
تعلمت إلا أعاند الأقدار وان أدافع عنها ، وقد كان
دافعي عنها مثمرا تلك المرة
فقد عاد يونيو هذا العام بإعلان خطبتي إلى "
حسن " صديقك القديم

الواقع يا يحيي إنهم لم يروا بي سوى حبي لك
أغرموا بالمجنونة التي أحبتك وظلت على وفائها
لعشر سنوات
يشبهك حسن كثيرا لكنه ما كان خائنا وما جبن
للحظة
كان يجاهر بنسائه لكن ما كانت له حبيبه ليخونها
، وعندما أراد الزواج لم يتراجع في اللحظة
الآخيرة
أراد حسن أن يتحدث معك في شأنني لكنك لم
تعد منذ عام ونصف، ولم تطلع أحد على رقمك
الجديد
راهننت نفسي أن يتغير حسن معي وراهننت على
مقولة مي زيادة " كم من حب جاء ثمرة للزواج "
ولم انسي أن استخير الله مرارا حتى تمت
الخطبة
وعدتني داليا أن تحضر حفل زواجي كما اتصل
بي حازم لتهنئتي على صدور روايتي الأولى
وسألني بخبت لم أعهد منه من بطل إهدائك ؟

فضحكت و أجبتة اهديتها إلى من انتهيت منهم.

عن علامات الخير التي ربما تجدها في حلم أو
صدفة

أو كلمات من احدهم تصل إلى أذنك بالصدفة
البحثة لتطمئن قلبك فتظل متيقن أن قريبا سيأتيك
الفرج

عن بعض الإشارات الغير مترابطة التي تدفعك
لربطها جميعا

فيتتبعها قلبك ليصل بك إلى الراحة
عن أن الفتيات في العموم يعشقن العلامات
يستبشرون و يبتهجن

عن كوني ادعوا الله كثيرا بعلامات الفرح
وأظل متيقنة أن حديثي مع صديقتي و طمأننتها
لي علامة

وان حلم الأمس المزهو بالخضار علامة

وان تنبؤات الأطفال لي علامة

وان ما أنا فيه الآن علامة

العلامات جميعها تخبرني بان الفرج قادم لا
محالة

اللهم أنى استبشر الخير في كل ما يحمله لي
قدري
فتقبل يقيني بقبول حسن وامنحني الفرح قد
رحمتك

تعويض السماء

- التاسع من نوفمبر
قالها الطبيب وهو يدقق النظر أكثر في الشاشة
التي أمامه وبنصف إستداره وابتسامة أجاب على
سؤال عمر زوجي
- لا داعي للقلق فكل شيء على ما يرام وزن
الجنين طبيعي والنبض كذلك
- الحمد لله قالها ثلاثتنا معاً
وفي طريق عودتنا للمنزل كنت أتحسس موضعها
وأنا أكرر "اللهم أحفظها لي" بخوف غريب وكأنها

تود أن تخبرني أمر ما، كان الطريق طويل للغاية حتى أنه سمح لـ إحدى عشر عام أن تمر أمام عيني بتلك السرعة، منذ أن كنت بفيستاني الأبيض وأنتقل بصحبة أحلامي الوردية إلى منزل فارسي لتتجسد جميعها في حلم واحدة فقط، أن يرزقني الله طفلاً ولكن إرادة الله أن يظل ذلك حلم، إحدى عشر عاماً مرت لم أجد سوى الحزن رفيق مخلص للغاية والدعاء والتوسل إلى الله سبيل النجاة الوحيد والعزلة التي صارت وطني، بعد أن بدا وجودي في المناسبات الاجتماعية غير مرغوب فيه، تلاحقني الألسن والأعين في كل سكناتي وكلماتي وكأني كائن منبوذ لكوني لم أرزق بالأطفال، إلي أن أجريت تلك العملية ونجحت بفضل الله وها هي الآن "حبيبة" قد أقترت بموعد احتضاني لها، التاسع من نوفمبر ستكون حبيبة واقعا ألمسه بيدي، فرحة انتظرتها إحدى عشر عاماً وباقي على قدومها شهر واحد فقط، تحسستها ثانية وكررت "اللهم أحفظها لي"، وبكفه الرقيق أفاقني

زوجي من شرودي بسؤاله
- ما بك يا حبيبتي؟ ألم يطمئنك الطبيب فلما كل
ذلك القلق الواضح على ملامحك؟
- لا أدري حقا لكنى أفضل الحمد لله
وضع يدي بين كفيه وهو يربت عليها بهدوء هامسا
- الحمد لله
وكعادتي بعد زيارة الطبيب للمتابعة منذ بداية
حملتي توجهت لمدونتتي "حبيبة ماما" لأدون
خواطري عن صغيرتي وما حدث في اليوم
"...اليوم أخبرني الطبيب بموعد ولادتي بك
شغوفة للقائك أشعر بالبراح يغمرنى بالشوق
والفرح معاً
والبراح يا صغيرتي هو ضمة
هو تلك الراحة بين راحتك
و ابتسامة تلمع بيها الأعين
تصفى على الكون حنان لا حدود له رغم قسوة كل
شيء
أشعر اليوم أن الأرض تبتسم لثباتنا بها

وان فجر المستقبل القادم من الخلف يعانقني كما
تعانق إحدانا الأخرى
فلتعانقيني أكثر"

- مر أسبوع من شهرك الثامن حبيبتي يستحق
الأمر أن أناديك "أم حبيبة" كما تمنيتي
- بابتسامة خجولة أجيب أتمنى لو تسرع الأيام
بعض الشيء حتى تكون حبيبة بيننا وتسمع
ندائك معي

- لم يعد سوى القليل صبر تلك السنوات لم يكفي
ليشمل تلك الأيام وأطلق ضحكة طويلة
ما أجمل تلك اللحظات التي جلبتها لنا حبيبة منذ
أن علمنا بنجاح الحقن المجهري و حدوث الحمل
تغيرت حياتنا بشكل كبير عادت السعادة تقطن
منزلنا من جديد، أصبحنا نخرج كثيرا لشراء
ملابسها وانتقاء الأجل في كل إحتياجاتها، كما
أصبح زوجي طفلا يداعب بطني المنتفخة طيلة
الوقت.

في الصباح استيقظ عمر على صراخي وبكائي

فتوهم للحظات أني سألد هذا الصباح أخذ
يهدئني ويحاول أن يستجمع قواه كي يتصل
بالطبيب أو يعرف ما بي تحديدا
- لم تعد حبيبة تتحرك
- كيف علمت ذلك
- لم اعد اشعر بها
- اهدئي عزيزتي قد تكونين متوهمة
- لا منذ أمس وأنا أشعر بأن حركتها قلت وبقيت
مستيقظة حتى أراقب حركتها لكن ما من شيء
- حسنا سنذهب للطبيب أهدي فحسب
وهناك أخبرنا الطبيب أن النبض توقف ولا بد أن
نجري جراحة قيصرية لإخراج الجنين، حاولت أن
أتماسك لكني لم أستطيع فاضت دموعي كالنهر
يحمل الكثير من التوسل للطبيب كي يجد حلا
آخر لا يمكنهم أخذها بعد كل ما عانيت من
أجلها، لما ترحلين يا حبيبتي قبل أن أراك لم
يتبقي لنا إلا القليل ألم تستطيعين الصمود أكثر
من أجلي لما ترحلين وحدك وتتركيني لما لم

تأخذيني معك أريدك وكفي، لكن ما من شيء
ليتغير لله ما أعطي ولله ما أخذ ظللت ارددها في
نفسي حتى أنني لم أستمع لتاريخ إجراء العملية،
وفي الطريق أخبرني زوجي بالتاريخ وبكلمات
الطيب اللطفة للأجواء بإمكانية إجراء محاولة
أخرى بعد شهور قليلة كما أن فرص الحمل مرة
أخرى أصبحت أيسر من ذي قبل ظل عمر يردد
الكثير من الآمال على سمعي لكنني لم أعيرها
اهتمام فسيدة أربعينية مثلي ما عاد لديها تلك
الطموحات، أغمضت عيني وغرقت في دمعاتها ولم
أعد أتذكر شيء ولا ادري كيف مرت ثلاث أيام
حتى موعد إجراء العملية إلا أنني طلبت منهم أن
يحتفظن بحبيبة حتى أفيق أتمنى فقط أن
أحتضنها أن أتحسس ملامحها
مرت ستة أشهر جديدة حاولت التماسك والرضا
بقضاء الله تحدث مع عمر كثيرا برغبتني في أن
يتزوج من أخرى إلا انه رفض الفكرة وكان دائما
يردد كان لدينا ابنة واحتسبناها عند الله كانت

الأيام تمر ثقيلة للغاية وبت أشعر أن قوتي وهنت
فبدأت أشعر بالآلام مستمرة في الرحم ولعل ذلك
من أسباب انقطاع الطمث وذات يوم سألني عمر
- لما لا تذهبين إلى الطبيب حتى نطمئن عن سبب
تلك الآلام ولما انقطع الطمث هكذا
- وبابتسامه ملاًها الألم أجبتة لا عليك ها قد
وصلت إلى سن اليأس
- لازلت صغيرة حبيبتني علينا الاطمئنان لن
يضيرنا الأمر شيء
طاوعته على مضض فلم أعد أتمكن من الذهاب
إلى طبيب النساء وأن أواجه الممرضات اللاتي
يعرف حالتي أو يتعثر نظري ببطون الأمهات
المحملة بالأجنة صار الأمر قاسي للغاية عن ذي
قبل لكنني ذهبت وقصصت على الطبيب ما أشعر
به أثناء إجراء السونار وعلامات الدهشة الغير
مبررة بادية على ملامحه ظننت في بداية الأمر أنه
يتعجب من حالتي فكم كان يتمنى أن أصير أمماً
إلا أنه توجه إلى عمر بضحكات عالية

- زوجتك حامل
ووسط حالة من عدم الاستيعاب تابع
- بداخل الرحم توأم
ساد الصمت لثواني في محاولة لتصديق الأمر أو
لعل الطبيب يتراجع عما قال
إلا أن عمر قطع ذلك الصمت بسؤال - هل يمكن
أن يحدث الحمل طبيعياً في تلك الحالة لا
أستطيع تصديق ذلك
- إنها إرادة الله زوجتك أخذت كميات كبيرة من
العلاج والمنشطات خلال السنوات الماضية مما زاد
من الخصوبة كما أن حدوث حمل ولو عن طريق
الحقن المجهرى يهيئ الرحم للحمل مرة أخرى
ظل عمر يردد سبحان الله وعيناه تفيضاه بالدموع
وأنا أتابع الحديث ولا أستطيع أن أبكي أو أن
أسأل أو أي شيء فقد أفقدتني المفاجأة
إحساسي بالواقع وكأني روح تراقب ما يحدث
و فقط
مرت الشهور سريعاً أكثر مما تخيلت وأسهل مما

مضي دون خوف من الفقد وظلت عادتي كل شهر
أن أكتب إلى حبيبة أخبرها بكل ما يخبرنا به
الطبيب حتى جاء ذلك اليوم كتبت فيه
حبيبة اشتقت إليك
"...اليوم التاسع والعشرون من يناير منحني الله
أخويك آدم وأياد"

متمسكة بحلم البقاء من أجلك أو من أجل روحي
التي تحبك
ازعم أنني أحاول الوصول إلى شيء ما لكنني إلى
الآن لا أعرفه
ربما ليقيني أن ذلك الشيء ينتظرني
وما بوسعي إلا أن افعل ما أقوم به
أو بالأحرى أحاول أن أكن على مستوى ثقتك بي

شهادة رضيع

اليوم أعادوني إليك
وكم كنت في أمس الحاجة إلى ذراعيك احتمى
يهما ... مثلها تماما
أتذكر بالأمس البعيد أخبرتك أنها تريد خمس
جنيهات
فالغد هو الجمعة و ما لديها من مسحوق لن يكفي
كل هذا الكم من الغسيل المتراكم
وغفت إلى جوارنا أنت من اليمين وأنا من اليسار
لم تكن تدري أن الخمس جنيهات سيحرمونها من
تلك الغفوة إلى الأبد
وجاء الصباح حاملا ثلاثتنا إلى مصائر مختلفة
ذهبت أنت إلى عمك بعد الإفطار و أجلسنتني
هي إلى جانب جدتي لتبدأ في مهمتها
مع تنظيف الثياب المتسخة حتى نفذ المسحوق
أرادت أن تتركني مع جدتي وتذهب لتشتري غيره
لكنني أبيت أن تذهب دوني و بادرت بالصراخ

فاستسلمت لبكائي و حملتني على ذراعيها و
مضت

لكن ذلك الفتى لم يمهلنا لنصل نزعني من بين
يديها و فر واثبا تجاه عربته و تبعته مهرولة هي
الأخرى

وبعد أن ألقاني داخل السيارة نظرت في اتجاهها
والبكاء لا ينقطع حينها دفعها جوارى
و حملني على رجليه و بين يديه سكيننا زاد رعبى
وبكائي فحاولت تهدئتي
ودموعها لا تجف لكنه أزاح يديها وانطلق إلى
حيث لا ندرى

توسلت إليه أن يتركنا لكنه لا يجيب
قبلت يداه متسائلة ماذا يريد منا لكنه لم يجب
هددها أن لم تصمت حتى نصل فسيذبحني أمام
عينها ولن تصل لشيء كذلك
فصمت لكن دموعها لم تجف ... حتى وصلنا
المكان يبدو عاديا شيء من الرهبة فقط تسيطر
على الأجواء دفعها بقدمه حتى تنزل

وحملني بين ذراعيه حتى يظل السكين في اتجاه
رقبتي
دخل إلى منزل يقابله البحر وليس بجواره منازل
أخرى ولا كائنات أخرى ... نحن فقط
فتح الباب و دفعها إلى الداخل ثم دفعني بقوة
إلى الأرض
أتعلم شعرت أنى أَلْفِظ أنفاسي الأخيرة لولا
صرختها القوية التي أفاقنتني
لا أعلم ماذا فعل بها فصراخنا قد أمتزج ثم
شعرت بدماء بجانبني
مرت ساعات لا أعلم عددها لكن ضوء جديد قد
أتى ويدها عادت لتحتضنني وخرجنا
مشينا لمسافة طويلة اعتقد ذلك .. فحرارة الشمس
كانت قوية
واستمرت لوقت كاف لنومي واستيقاظي عدة مرات
ثم ركبنا عربة ودفعنا بها الخمس جنيهاً التي
كانت ستشتري بها المسحوق

ترى ما مصير الثياب المتسخة و الغسالة التي
تركنها تعمل ؟

هل انزعجت عند عودتك من العمل ولم تجدنا ؟
لا بأس فإننا عائدون الآن و ستكون كل الأمور
على ما يرام

لكن كلما أمررت يدي على وجه أمي أجد دموعها
لا تزال تنزف حتى وهي تقبل يداي شفتها ترتعد
فأثبتت بها أكثر عليها تهدأ لكن النزف يزداد و
الارتجاف كذلك

ها قد وصلنا إلى منزل جدي لا أعلم لما لم نعود
إلى منزلنا

بعد قليل علمت إننا لن نعود إلا أنهم في الصباح
حملوني إلى تلك المحكمة لأراك

أو كما لمحت في عينيك انك ستأخذني معك و
ترحل

سمعتهم هنا يتحدثون عن عشاق و هرب و أمور
لم افهمها

لكنى أريد العودة إلى أمي فهي تحتاجني جوارها
فعندما تركتها كانت لا تزال ترتجف
الأصوات حولي تتزايد الجميع لا يفهم شيء أو
يحاول ألا يفهم
أريد أن أعود إلى أمي فلا يزال دمعها ينزف
لما لا تسمعوا منى ما حدث... لما تقولون عنها
ذلك
إصمتوووووووا ولتسمعني أنت كذلك
أريد أن أعود إلى أمي لأخبرها أنى وحدي
سأحميها

كبرت يا أمي وما عادت أبكي لأن نقودي لم تكفى
لشراء الشيكولاته

فقد صارت الأمور أكثر تعقيدا عما مضى
كبرت يا أمي ولازال صوت الغضب يزعيني
ويبكيني بالحرقة ذاتها والعمق ذاته
كبرت يا أمي ولازلت أبكي بين أوراقى خوفاً من
أن ينهرني أحدهم
فأنزوي داخل كتاب واختفى تماما لتختبئ
دمعاتي بين السطور
كبرت يا أمي وصرت متعلقة أكثر بالسماء أناجيك
بصمت
وأسرد عليك تفاصيل الحزن بداخلي وتمطر عيني
متوسلة إليك بالإجابة
كبرت يا أمي لأنتقل من حياة صنعها الآخرون
لحياة رتبها آخرون
أحاول جاهدة المقاومة لأنهار من جديد
كبرت يا أمي ولا سبيل أمامي لفرض رأي أي كان
فلما كبرت إذن إن لن يكن لدى خيار
كبرت يا أمي ولم أمتلك شيء قط

جميع ما ظننته ملكي يسلب منى حق التصرف به
بطريقة أو بأخرى
كبرت يا أمي وما أخبريني يوماً أن حقي في
الحياة كما أحلم لن يتعدى كونه حلم!!

أبيض وأسود

يحتضنني كل ليلة بذراعيه الممتدان بطول تلك
الليالي الحزينة بداخلي
أحاول أن أهرب من سيطرته على لكن إلى أين
فعندما قررت الفرار من كل شيء لم يحتويني
سواه
ذلك الرصيف الذي يتغير كل ما حوله إلا هو ..
يبقى بعدما يرحل كل شيء
أبيض .. اسود .. أبيض .. اسود ..
أتذكر ضجر جدتي من عدم رغبتني في النوم بعد
العشاء

و إصراري على إكمال واجب العربي
هل كانت محقة في أن الستر أهم من فك الخط
هل كنت بالسذاجة الكافية لتصديق أن العلم نور
أنطفأ النور و استوحش الظلام وعدت من جديد
لاختار موضع نومي

أبيض .. اسود .. ابيض .. اسود .. ابيض ..
الأحلام جميعها بيضاء ما من حلم اسود السواد
داخلنا فقط
كنت احلم بان أكمل تعليمي حتى أصبح طبيبة
لأعالج أمي
و أمتلك الكثير من الأموال كي أعطيها لأبى حتى
لا بنهال علينا ضربا كل ليلة
لكن أمي خذلتني ورحلت و أبى فقد عمله و
أصبح يمتهن جلدنا
لم يكن لدى سوا أخ واحد يكبرني بعامين هو
أيضا رحل وجئت هنا ابحت عنه
أبيض .. أسود .. أبيض .. اسود ..
الأسود هو أبى وهو كذلك جدتي التي دفعتني
للعمل في منازل الأثرياء وأنا لم أكمل عامي
الثامن
الأسود هو ذلك الثرى الغليظ الذي حاول
مطاردتي وأنا أحطم كل ما يعوقني كي أخرج من
منزله

الأسود هو ذلك الليل في بلادنا الذي يفضح أكثر
مما يستر

وكذلك هو موضع نومي تلك الليلة
أبيض .. أسود .. أبيض .. اسود .. ابيض
كغيري ممن يؤويهم ذلك الرصيف العتيق ابتهجت
كثيرا لمجئ هؤلاء

وصارت الأيام تمضى بين ركض و قذف و حوارات
لم أكن أعياها تماما ولكنى حفظت منهم الكثير
مصر هي وطننا الذي يجب أن نحبه وندافع عنه
أتذكر مصر تلك التي كنا نهتف بها ونحن نحى
العلم

ما من مرة قابلتها كي أحبها لكنى أحببتها كثيرا
من هتافاتهم

أنها المرة الأولى التي اشعر أنى أحب ذلك
الرصيف أشعر به يبتسم ويفتخر بنا
أبيض .. أسود .. أبيض .. أسود .. احمر
الدماء تحاصرني وكأن الرصيف أعلن الثورة على
الأبيض

أو أن الثورة احتفظت لنفسها بالبياض كي تكفن
موتها
ومنحتنا كافة الألوان لنمرح قليلا و نحزن كثيرا
فاليوم رحل خمسة من أشقائي
الذين كانوا يصفون لي الحرية كل ليلة و يبتهلون
في حب مصر حتى الصباح
وعندما جاء الصباح قررت إلا أعود لرصيفي قبل
أن أثار لهم
لكن رجل كبير يرتدى زى اسود ممسك ببندقة
كبيرة كالتي كنا نراها في أفلام الكارتون
استوقفني وأنا اهتف " يا نجيب حقهم يا نموت
زيهم " كيف لأبناء الشوارع أن يطالبوا بالحقوق
أزحت يداه عنى وأكملت طريقي لأنضم للثائرين
واهتف معهم بقوة
حتى بدأت الطلقات تتوالى حينها لمحت الأبيض
من جديد
أمي جاءت تستقبلني مبتسمة .. أنها الحرية يا
أمي ..

لم أكن أعني من قبل ما رسخته بداخلي فكنني
لي وطن صغير وها أنا أموت من اجل وطني
الآن اشعر بالأمان اشعر أني وصلت إليك ..
فخورة بي الآن أليس كذلك ؟

استوقفتني حركة شفاهها وهي تتمتم بالاستغفار
منذ لحظة رأيته
تبدو وكأنها في عالم مغاير لا تشعر بمن حولها
وماذا يقولون أو يفعلون
فقط تبتسم لمن حولها دون أن تتوقف شفاهها
وبعد مضي ساعة فتحت حقيبتها و أخرجت
مصحف صغير وبحركة عفوية
انفتح المصحف على سورة يس وكأنها تحفظ
مكانها تحديدا
وشرعت في القراءة تارة وهي ناظرة في مصحفها
وتارة وهي ناظرة للسماء
وكانها تناجي الله بآياته وترجوه شيء يستقر
بروحها
وما أن وصلت إلى قوله " إنما أمره إذا أراد شيء
أن يقول له كن فيكون"
فاضت عيناها بالدمع وأخذت في تكرارها حتى
توهمت أنني سمعت دقات قلبها تردها كذلك

المحبون يصمتون طويلاً

ثرثرة مفتعله و تكس مبالغ للذكريات ولا احد
يذكر أشياء واضحة
الرؤية ضبابيه إلى حد الوضوح ولكن ما من أحد
تكلف عناء مسح زجاج نظارته
ووحدي اكتفى بك.. ماذا لو أدركت انك الوحيد
الذي تدور حوله جميع الأحاديث بشكل أو بآخر
أنت البطل الذي يتمنون أن يجدوا فيه ملاذهم بعد
كل هذه الضوضاء
بينتته أحدهم إلى وجودي ويشير إلى كي انزع
الهاند فري

- لما لا نتحدثين
- وما الجدوى من الحديث
- نتحدث ليعرف كل منا الآخر الجميع يتحدث
- وأنا كذلك أتحدث طوال الوقت
- كيف وأنتِ صامتة منذ البداية

- أتحدث مع نفسي كي أتعرف عليها أكثر
وضعت الهاند فري مرت أخرى ولازالت فيروز
تكرر كيفك أنت ولازال لا يجيب
يتجاوز الصمت عن الخطايا يا فيروز يمنحنا
صدقا ظاهريا لحروب الروح الدامية
أتظاهر بالاهتمام للأحاديث التي لا اسمعها
ولكنى اعرف مضمونها على أيه حال
لو أن كل منهم صمت قليلا وتأمل روحه لوجد بها
جمالا حقيقيا بعيدا عن تجاوزات الألسن و
مجاملات الآخرين
ولكننا على إيه حال نخشى الصمت لأنه يحملنا
لمواجهة أنفسنا
اعتذرت بإرهاقي و هممت بالانصراف فبادرت
صديقتي بالنهوض لتوديعي
- ما بك لم تعتادي الصمت
- ليس الصمت بعادة يا عزيزتي وإنما احتياج
- احتياج !!

- نحتاج أن نعتزل الكلام بالألسن لنمنح باقي
حواسنا فرص أكثر للحديث
- لا أفهمك اليوم
- لا عليك .. سأذهب الآن ولن لقاء آخر
و في الطريق كانت كل الاتجاهات تشير إلى
الداخل
وحده الصمت يجبر الروح على الحديث بالعمق
الذي يدفعك للتأمل فالوقوع في الحب
والفاء للسرعة فلو انك تأملت زهرة لوقعت مباشرة
في حب الزهور من النظرة الأولى
ولو انك تأملت السماء لغرقت في دمعة من عينيك
لن تكف بعدها عن الدعاء
كذلك لو انك تأملت صديقتك لارتبطت أكثر
بعفويتها وأحبيت أن تلاحظ ذلك
وحدهم المحبون يصمتون طويلا

من قال أن الأصدقاء يمكثون للأبد فبعد سنوات
من الفراق يقتحمون أفكارك عنوة
يترنحون هنا وهناك ويعبثون بجميع أشياءك فتلك
كلماتك تتلاعب بها ألسنتهم
وذاك ديوانك المفضل وهناك ابتسامتك و بعض من
أحزانك

يقتحمون أحلامك دون ميعاد مسبق للزيارة و
يتركون بقلبك غصة من قلق عليهم
فمن منكم إذن الأكثر وفاءً

إلى صديق لم أصادفه

(1)

إلى صديقي الذي أمنت بكونه كذلك بعد رحيله
والرحيل في عُرفه هو البداية
فالرحيل وحده ما يكسب الأشخاص عمقا بقلبه
اعلم أنى الآن احتل ركننا ما في قلبه يتذكرني
كثيرا و يبتسم و قد يلوم نفسه أحيانا لما لم يفكر
بى بشكل مختلف
إلا انه دوما ما يرحب بالحلول الأسهل حتى وان
أدرك بعد ذلك أنها لم تكن بالأسهل على الإطلاق
يترك نفسه للعمل لينسيه التفكير و يترك نفسه
للتفكير لينسيه ذاته
فلا هو يصل ولا يتوقف يتأرجح بين ما مضى و
يخشى ما سيكون له
عادات تميزه وله ابتسامه خلابه و ضحكة تأسر
القلب يسطح الأشياء جميعها حتى يبدو اكبر
منها يفكر كثيرا في كل شيء إلا ما يريد أن
يكون عليه

لعله يترك ذلك للقدر دون أن يتحمل عبء التخطيط
إلا انه غالبا ما يكون غارق فيها
صديقي لا يزال فوتوجنيك تذكرك طلته
بكلاسيكيات الزمن الجميل
وبحنين غريب إلى الماضي ربما ذلك للمحة
الحزن في عيناه ربما لكونه لا اعرف

(2)

صديقي الذي لا اعلم توصيفه لي إلى الآن
اترك يدك بين يداي و تجاوز معي الاوعى
وبصرخات متتابة اخبرني عن تلك الأشياء التي
استعمرتك عبر سنوات العمر
احكي لي عما تمنيته ولم يحدث وعما حدث رغما
عنك
عن أكثر ما يؤلمك وعما تود أن تسقطه من ذاكرتك
ثم اغمرني بتلك النظرات العميقة و استنشق
بهدهوء
اترك يدي من يدك وتمعن في الفراغ

حيث كان هنا " أنت "
حيث أخبرتني بكل ما لم تخبر به احد قط
واسألني عما حدث و ماذا قلت وأي منها أتذكر
ستجديني أغمرك بتلك النظرات العميقة ذاتها
وتجاوز معك السكون
فلا اذكر ماذا قلت ولا اذكر بماذا أخبرتك أنا
الأخرى

(3)

أسعد الله أوقاتك و رزقك من الخير الكثير
لا أخفى عليك أنى أعدت سرد الرسائل على
ذهني مرارا حتى نسيت ما كنت سأكتبه
وهذه عادتي لا أنكر فأنا لا أجيد الحديث المباشر
لشخص بعينه
أخشى اصطدام الكلمات بحواجز العقل أو
إحجامها عن اختراق القلب
لكن لا بأس فانا في تلك الفترة أدرب نفسي على
الحديث

وكأنني تلك الطفلة التي بلغت لتوها مرحلة تعلم
النطق
وهل يختلف الحكى بعد أعوام من الصمت عن
أولى مراحل تعلم الكلمات لا أظن
ففي كلا الفترتين نحتاج أن نستجمع قوانا كي
نتمكن من الإلمام بمفردات الحياة
أن ندرك ماهية القلوب كي نلقى الكلمات المناسبة
في حضرتها
ولا اعلم هل أخاف إدراك أن القلوب التي عرفتها
لم تعرفني فلم تستوعب كلماتي
أم أنى لم اعرفها جيدا فكنت ساذجة إلى حد
الترصد بالوجع
لا تندهش فتلك الطفلة الجميلة التي ظننتها تحلم
على الورق تحملت ما يفوق براءتها من الألم
فحاولت أن تجمل عالمها لتهرب من أحاديث الواقع
العقيمة إلى أحلام الورق الوردية
لم تكن تدري أن تجميل دنياها صبر و أن اليقين
بالفرج إيمان

وان الصبر والإيمان جزائهم تحقيق أحلام الورق
لكنها لا تزال تخشى الجميع .. نعم الجميع بلا
استثناء

تخشى الوجد والفقد و الخيانة حتى النسيان لا
شيء يدعو للاطمئنان حيالهم
جميعهم مصدر للألم وان تعددت المسميات
لذا أبدو قليلة الحديث اقترب وابتعد حتى لا أقع
في براثن الوجد من جديد
الحياة عندي هادئة للغاية و جميلة في الوقت ذاته
بالجوار هاتفي لا يصدر نغمته إلا من " هو "
وعندما اشتاق لصديقاتي أحادثهم في إيجاز
للاطمئنان لا أكثر
أما الأحاديث والأحلام فهي أجمل على الورق

(4)

دامت ساعاتك بالخير لا أعلم بأي الأوقات
ستصلك رسالتي
لكن قد يكون بها ما يصلح للقراءة في أي وقت

اليوم أنا سعيدة للغاية فقد كنت أجلس في
شرفتي متأمله السماء وأصوات المؤذنين القادمة
من أطراف البلدة والتي تذوب في السماء المتسعة
بامتداد تلك الأراضي المزروعة بالأرز
وكأنها تجتمع عند النقطة ذاتها معلنة اقتراب أذان
الفجر ثم يهتز الكون خشوعا
عندما يتردد الصدى " ركعتي الفجر خير من
الدنيا وما فيها"
وما من ثوان حتى أنطلق أذان الفجر وبينما أردد
وأمد يداي لإغلاق النافذة
إذ خرج من بين المنازل الصغيرة المكونة من
طابقين أو ثلاثة على الأكثر
صبيا لم يبلغ الخامسة عشر يبدو على هيئته ذلك
استوقفتني خطواته المسرعة
حتى أقترب من منزلي حيث قطعة أرض لم تزرع
بعد مما سمح لي بأن أتأكد من أنه يحمل
سجادة صلاة

وضعها وأتجه كما القبلة وبعدما رفعت الإقامة
بدأ بالصلاة وما أن انتهى
حتى وقف يدعو بصوت مرتفع مبتهج ممتلئ
بالخشوع
" اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا
رضيت ولك الحمد بعد الرضي"
وأخذ يكرر دعائه كثيراً حتى ظننته لن ينتهي
فذهبت لأصلي أنا الأخرى
وبعد عودتي وجدته لازال يكرر دعائه وهو مغمض
العينين متجهاً للسماء بابتسامة
ظل هكذا حتى أشرقت الشمس ثم غادر من
حيث أتى لكنه ملئني بالرضا والبشري

(5)

يبدو الوقت متأخراً للكتابة عنك أو إليك أيهما أقرب
لك

لا أنكر أن زيارتك الأخيرة حمستني كثيراً وأيقظت
بداخلي الكثير من الذكريات
والجميل أنك لا تترك خلفك إلا كل حسن ومبهج
على عكس جميع الراحلون من حياتنا
أراك تبتسم الآن وأنت تستدعي تلك المبهجات
الإسكندرية في الشتاء و الاتجاه نحو البحر ليلاً
وصوتك الذي يعلو بالغناء
وضحكاتي الصامته فرحاً ومفاجأة السماء بالمطر
حينها يقاطعني صوتك
- مش هتقومي تصلى بقى
- أصلى إليه
- صلى ركعتين لله - قيام ليل - أي حاجة
- حاضر بس أسمعنا يعنى
- علشان تدعيلي
تعيدني دقات الساعة لواقعي الذي يدفعني بدوره
تجاه سجادة صلاتي لأصلى الركعتين وأدعوك

وأنا أسأل الله لما يثق دوماً في إجابتك يا الله
لِدَعَائِي لما يحسبني بالنقاء الذي سيجعلني
مصدراً للخير
وأغفو دون أن أجد إجابات فأراك في منامي
تبتسم وترحل دون أن تحدثني
لو أنك انتظرت قليلاً لكنت أخبرتك أنني دعوت لك
وأن أحلامي لم تعد بالسلام الذي أعتده
أو على الأقل كان حديثنا دليلاً قطعياً على أنني
حلمت بك بالفعل وما تشابهت على الوجوه
لن أطيل عليك فقد شعرت أن زيارتك أحلامي
الليلة لم يكن محض صدفة

(6)

لي ذلك الصديق الذي لم أصادفه بعد
تحية محملة بعبق الحنين إلى قيم صداقتنا التي
تعاهدنا عليها منذ أمد

ولأننا لم نلتزم بها لم يحملنا القدر لملاقاة بعضنا
البعض

كثيراً ما أسألني عنك أين أنت وماذا عساك تفعل
كيف تتصرف حيال الكثير من الأصدقاء الملونين
وأين تختبئ من خيابات الطريق
ولمن يأخذك الدمع فتسرد تفاصيل القدر
والحق أنني ما عدت أختبئ صرت أكثر مجابهة
للواقع فما عاد لدي صديق

صرت أبحث عنك بين أوراقك بين كلماتي بين
نقرات أصابعي على ذلك السطح الأبيض
وأحكي فقط لنفسني جميع التفاصيل كتابتاً

لعلك يوماً تصادف ما أخطه و تدرك أنني لازلت
أبحث عنك ولم يعيرني الزمان أي تغيير يذكر
فلتطمئن... لازلت بالوفاء الذي عاهدتني عليه
عقدت المزيد من الصفقات الاجتماعية الناجحة
على حسب ما يقولون

وارتطمت بأعنف الحكايات ونزفت طويلاً إلى أن
اكتسبت الخبرة الكافية للاختلاط

حاولت أنت أتواصل معك لتعطيني خبرتك في تلك
المسألة لكن على أيه حال
أصبحت جميع الأمور على ما يرام
فلتطمئن أكثر لازلت بالقوة التي عاهدتني
عليها
فقط استميك عذراً إذا ما رأيتني اختفيت لفترة
من الزمن فرغم صداقاتي المتعددة
إلا أنني صرت شديدة الالتصاق بذاتي
أعلم أنك تتمنى مثلى تماما أن نتصادق ذات يوم
لكنى أعتقد أنك وصلت للمرحلة ذاتها
لذا لن أطيل عليك... على أمل لقاء قريب

ليس من الضروري أن نبحث عن معني لكل ما
يصادفنا
بعض الأشياء تكمن جاذبيتها في غموضها
وبعض الأمور تأسرنا بغموضها
كهؤلاء الأشخاص الذين نلتقيهم عنوة ويتركوا
بأرواحنا أثراً عميقة
دون أن يدرك أي منا أن ذلك حدث للآخر

معطف من السعادة

أحبها في الشتاء و تقدم لخطبتها في الشتاء ذاته
واتفقا على أن يكون الزواج في نهاية الشتاء
القادم
لذا كان ممتن للشتاء كثيرا فأهداها معطف بلون
المطر
- حبيبتي أحب أن يكون ذلك المعطف أول ما
أهديك ليزكرك دوما بشتاء جمعنا
- كم جميل أبيض بلون قلبك
- بل أبيض بلون المطر وسعادتي به ومن ثم
سعادتي بكِ
فقد كانت مثله تعشق الشتاء وتهوى اقتناء
المعاطف باختلاف ألوانها
إلا أنها لم تقتنع يوما بارتداء معطف أبيض حتى
أهداه إليها

لكنها أحبته كثيرا فقد كان رمزا لحبها ولسعادتها
ولكل ما هو جميل
على مدار عام من الشتاء إلى الشتاء الذي أوشك
على الانقضاء سريعا وكأن عام لم يمض
لذا من فرط سعادتي أتحدث دوما علينا بصيغة
المجهول فحتى الآن لا أصدق أن هي تمثلني
اليوم سنذهب لتشاهدين منزلك بعد أن انتهى
العمل به قالت أمي ذلك فبدأت في الاستعداد
وما أن خرجت إليها حتى بذات في الانتقاد
- لما ذلك المعطف ف الطقس لم يعد قاسيا فقد بدأ
الشتاء في الانقضاء
- حتى وان أصبحنا في الصيف فلن ادع لحظة
سعادة تمر بي دونه
- مجنونة أنتي لا ادري كيف سيحتملك له الله
- أحبني خصيما لجناني ذلك
قد تكون أمي صمتت أو ربما ظننت ذلك فبمجرد
خروجنا من المنزل أمطرت السماء

واتجهت أنا في سعادة إلى نافذة السيارة أراقب
قطرات المطر المندفعة بشغف إلى الأرض
لتحتضنها بشوق لا ينقطع إلا بقرار من السماء
وأتذكر حديثه معي عن المطر
- تحبني أكثر أم المطر
- أحبك عدد قطرات المطر فهل يمكنك إحصاء
عدده

- بالطبع لا وابتسم خجلا واصمت
- عندما تجدين السماء تمطر بقوة أكثر فلتعلمي
أنى في تلك اللحظة أحبك أكثر وأكثر
أتذكر كلماته فتغمرنى السعادة أكثر واختبئ في
المعطف أكثر وكأنني أحتضنه هو لأخبره أنى
أيضا

فمن بداية الشتاء لم تمطر السماء كاليوم كم
سعيدة أنا به وكم كم أحبه
وها أنا الآن قد وصلت إليه في منزلنا الذي لم يعد
أمامنا سوى بضعة أيام لنسكنه سويا

لكنى لم أجده فأمسكت بهاتفي واتصلت به
ليجيبني صوت لا أعرفه
يخبرني بان حادثاً قد تعرض له وهو يقود سيارته
وفقد حياته
ويسود الصمت من حولي في محاولة للاستيعاب
قبل أن أبدو متماسكة وأسأل أين هو الآن
لأذهب إليه مخلفة معطفي أمام منزلنا
عل أحد يرتدي فيجلب له السعادة فلم اعد بحاجة
لها

ما من نهاية
فبمجرد عبور قطار الألم مرفأ القلب
تتجدد لدينا الرغبة في السعادة
الأحزان وحدها من يحفز طاقة النور بداخلنا

زهرة من الألم

تشرق الشمس من جديد بعد هدنة قصيرة مع
الألم، أفتح عياني على صراخ أمي كعادة كل يوم،
فأغفو ثانية في محاولة لإغراق الواقع بالأحلام
الجميلة، كل شيء سيكون على ما يرام أقولها
لنفسي بصوت ملائكي وأطرد الأرواح الشريرة من
نفسي فيغلبني النعاس لدقيقة ربما أو لدقيقتين لا
يهم

ارتطام حذاء أبي بذراعي يكد يفقدني صوابي لا
أحلامي فحسب، فأنتفض مغمضة العينين مجيبه
بصوت أرجفة الخوف فخرج بشكل متقطع
وبصعوبة بالغة

- حسنا حسنا إني مستيقظة
- يكفي كسل أفيقي لتحضري لنا الطعام
- أمي ستحضره

- لا فهي لن تأكل منه اذهبي أنتي واحضره
وإلا فلن تأكلي أنتي الأخرى
- حسنا سأذهب

أقوم بصعوبة فلزالت تؤلني أصابعي جراء بعض
الحروق التي عاقبني بها أبي الأسبوع الماضي
بعد شكوى مدرس الرياضيات والتي لا أعلم هل
عدم كتابة الواجب ليوم تستحق تلك العقوبة حقا
لكن أبي يرى أن فائدة تلك الأصابع هي كتابة
الواجب لذا هي وحدها من يستحق العقاب لكن
ما يشغل بالي الآن كيف سيكون الألم حينما
أمسك بالطعمية الساخنة بأطرافي المحترقة
أعود إلى المنزل بعد معاناة في وضع الطعمية
الساخنة فوق طبق الفول المغطى بغطاء من
البلاستيك وإرجاعهما إلى صدري حتى لا يقعا أو
يؤلما أصابعي أكثر، يتناول أبي فطوره ويذهب
لكنه قبل أن يمضي يدور في حركة سريعة حول
الأماكن الهامة في المنزل ليطمئن على وضع
الأقفال، الثلاجة ثم الهاتف ثم مكتبة التلفزيون

وبالطبع النوافذ جميعها محكمة الغلق يهمهم
ذهابا وإيابا لا نعلم ماذا يقول أو ماذا يريد ثم
يمضي تحتضنني أُمي بقوة وتقبل رأسي بعنف
وتقول لي وصوتها يختنق بالبكاء، كل شيء
سيكون على ما يرام ثقي بي حينها ابتسم
بضعف شديد ورغبة ملحة في ترك روعي لإعفائه
لا تستيقظ منها ثانية لكن ما من مفر
وعند الثامنة تصطحبني أُمي إلى المدرسة القريبة
من المنزل وتظل حتى انتهاء طابور الصباح
لتطمئن أنني بخير فأخبرها أنني بأمان هنا أكثر
فلن يحدث لي أكثر مما ألتقاه في منزلهما،
أحتضن حقيبتني وأدخل إلى حيث مكاني في
الفصل جالبة معي كافة الأسئلة التي لا أجد لها
إجابات مطلقا، لما يفعل بنا أبي ذلك ولما يعاقبني
بكل هذه القسوة هل أفعل ما يستحق ذلك
لتدفعني الأسئلة إلى سنوات عمري الأولى قبل أن
أكمل السادسة حيث كنت أحب الألوان وأظل

لساعات أرسم وردات وألونها لما حطم أبي الألوان
وألقى بورداتي في القمامة
يدق جرس المدرسة وانزل إلى الباب فأجد أمي
واقفة في انتظاري
- أي المواد درست اليوم يا مريم
- لا أتذكر
- ماذا كتبتني
- لم أتمكن من الكتابة فأصابعي محترقة
تغير صوت أمي وكأن صوتها يقتحم نهر من
الدموع ولكنها لازالت تسألني
- هل لازلت تحبين الألوان
- نعم ولكن أبي كسرهما
- لقد أراد أن يمنحك أكبر منها أنظري لتلك
العلبة فقد أعطاه لي أباكي في الصباح حتى
أهديك إياها عند عودتك من المدرسة
- جميلة حقاً وأكبر من تلك الأخرى التي كسرت
وفي يقيني أعلم أن أمي كاذبة ما كان أبي
ليمنحني أي شيء سوا الألم لكن الألوان جعلتني

سعيدة للغاية فلم أفكر طويلا في الأمر وبمجرد دخولي المنزل أحضرت الكثير من الأوراق بدأت في الرسم والتلوين، وذهبت أُمي لعرض أخي الصغير على الطبيب وتركتني بين أوراقني وألواني أحلق بسعادة بالغة، وعندما شعرت بالجوع ذهبت إلى المطبخ فالثلاجة مغلقة بالطبع وفرصتي الوحيدة أن يحالفني الحظ وأجد أي شيء يمكن أكله حتى تأتي أُمي وكان الله رحيمًا بي فقد وجدت طعام الغداء محضرا فتناولت قطعة من اللحم ورجعت لأكمل وِرداتي وبعد نص الساعة عاد أبي فخبأت الألوان والأوراق بسرعة تحت وسادتي وفتحت كتاب الدين أمامي متظاهرة بأنني أستذكر دروسي، وبعده بقليل عادت أُمي فذهبت لأساعدها في تحضير الغداء فوجدت أبي يصرخ بها

- كيف لا تعلمين

- قبل أن أخرج كانوا 4 قطع لحم لا أدري من أكل إحداهما ظننت أنه أنت

- لا لم أفعل هل كانت مريم هنا
- نعم لكنني لا أظنها هي قد أكون أخطأت في
عدهم لا تهتم
- كيف لا أهتم وبيننا سارق
- ولكن...
- لم تتمكن أُمي من إكمال جملتها فقد أتاني أبي
وبيديه عصا العقاب وسألني
- أأكلتي قطعة اللحم الناقصة
- بخوف شديد أجبتة لا لا لم أفعل
- أجيبني بالحقيقة ولن أعاقبك
- لكنك تمسك بالعصا ستعاقبني
- لا لن أعاقبك وتلك العصا سأرميها
- وبعد أن تركها أجبت - لقد كنت جائعة ولم يكن
أحد منكما في المنزل لأستأذن منه ولم أجد شيء
آخر لأكله
- سارقة وكاذبة
- وحملني وأخذ يقذفني إلى الأرض عدة مرات وهو
يكرر الجملة ذاتها وأمي تحاول أن تجذبني من

بين يديه وهي تصرخ فدفعها لترتطم بالحائط ولم
أتذكر بعد شيء مما حدث
وبعد عدة أيام وجدتني في مستشفى وحولي
الكثيرين من الأطباء بردائهم الأبيض البعض ينظر
إلى بشفقة والبعض الآخر بابتسامة حزينة وأمي
في جوارى ممسكة بيدي
أخبروني بأني مصابة لكنى سأتمثل للشفاء
قريبا وبأن أبي قد وضع في سجن كبير لن
يستطيع أن يؤذيني ثانية وبأنهم لم يتوقوا أن أفيق
من غيبوبتي تلك ولكنى أريد أن أعيش ورداتي
كانت تحنو على في ثباتي ، ألوانها المبهجة كانت
تداعب أجفاني حتى أستيقظ من جديد، ما عدت
أرغب في شيء الآن سوى أن أحولهم إلى حقيقة
أن يتحول كل ما حولي إلى وردات ملونة كثيرة
بعدد مرات الألم التي شعرت بها أما أبي فأخبروه
أني قد سامحته

بعض قصاصات الصور الملقاة في أروقة الذاكرة
عباراتهم الخالدة على جدار القلب كأنها حفر على
أثر

أقف كثيرا أمام صورتني وصورهم كيف كنت أبدو
عندما كانوا وكنا ولما تبدو - الكاف - بهذه
القسوة في الوصف وكأنها تعلو على الجميع
لتجرح الحنين بجواب رادع - كان -
" أعترف ... أجدني الوحيدة التي تكتسب جمال
مع مرور الزمن وكأن - كان - تشوهم فقط "

سكوتا

بعد مضي أسبوع من العمل الشاق، وانتهاء عمل البعثة الأثرية التي جنّت معها إلى اسكتلندا والانتقال ما بين إدنبرة وغلاسكو، قصدت في ليلتي الأخيرة بغلاسكو حانوتاً من حوانيت التحف الأثرية، لأقتني تذكارا يذكرني بجمال تلك المدينة، وكان ذلك الحانوت أشبه بمعرض عام لمختلف العصور والأجيال، فترى بعض التماثيل البيزنطية وإلى جانبها صفت مجموعة من الأنية تتألق على جوانبها نقوش حمراء وزرقاء يفصل بينها خيوط ذهبية دقيقة وإلى جانبها مصنوعات خزفية مطلية بالمينا تعود بالذهن لروائع المثال برنارد باليسي محلاة بزخارف بارزة على أشكال حيات وعقارب، وبالجوار تتدلى أنواع شتى من المسابح الزرقاء ذات الحبات الكبيرة المصنعة من حبات الفيروز المتعرجة و الكهرمانية الشفافة ذات الرائحة النفاذة الذكية، وتراكت في أركان المكان السيوف الهندية

والخوذ الاسبانية والرماح الخطية. وعلى الجدران
تترأى مجموعة من الصور لملوك وأمراء من كل
عهد وزمان تحيك بسامة الثغور من خلال
إطاراتها العتيقة، كل ذلك مغلف بإطار من
الموسيقى الأندلسية الملهمة والتي تشبه ما سمعته
في دار الأوبرا بديجون منذ عامان.

أخذت أتجول خلال الحانوت يتبعني صاحبه
بحذر ويراقب حركات يدي ومرفقي خشية أن
تكتسح في طريقها بعض تلك النفائس، وكان ذلك
التاجر نحيفاً متوسط الطول ذو بشرة داكنة بعض
الشيء أوحى لي هيئته أنه ربما يكون هندياً، وله
عينان جاحظتان تنمان عن نظرة ثاقبة جعلته
يحييني بالفرنسية فور دخولي ، و يدان نحيفتان
معروقتان قد برزت عروقهما ترتعشان هرماً، ولكن
هاتين اليدين كانتا أشد ثباتا حينما تتناولان أية
تحفة أو تمثال مما يعرضه.

قاطع شرودي بسؤاله

- ألا تشتري شيئاً مني اليوم يا سيدي؟

- أرغب في تحفة فنية دقيقة الصنع.
تركني الرجل دقيقتين ثم عاد وصف أمامي بضعة
من العاديات العاجية وخنجرًا ألبانياً لامعا مع
حزام مزين بنقوشات بالغة الدقة وبلورات تمثل
الإلهين بوذا وبراهما. وبينما أتفقد ما وضعه
أمامي وقعت عيني على تمثال صغير الحجم-
مقارناً بنظائره المجاورين- لمومياء فرعونية ترتدي
عقداً من النحاس ينصفه تمثال دقيق من البلور
يحمل سوطا ذي سبعة السن- دلالة على انه يمثل
الآلهة (ايونيس)،

- لقد اخترت تلك المومياء .. من تكون؟
فنظر إلى التاجر بمزيد من العجب ومد نحوي
التمثال لأفحصه بدقة.

ولما تناولته راعني خفة وزنه، وزادني إعجابا به
لدقة صنعه ووضوح تفاصيله عن قرب وبينما
أتفحصه أخبرني التاجر انه تمثال للأميرة سكوتا
المصرية ابنة الفرعون شينكريس والتي يُعتقد أن
شعب اسكتلندا يرجع أصلهم إليها، وأن زوجها قد

سخر الآلاف من رعاياه لينحتوا في الهضبة الشمالية ضريحا منقوش الجدران بالطلاسم و صور البعث ليستقر به تابوتها المزين المذهب، إلا أنهم لم يعثروا على ذلك الضريح إلى الآن لكنهم لم يفقدوا الأمل في العثور عليه بعد.

- بكم تبيع هذه المومياة؟

- إنها تحفة من أبدع التحف وأغلاها، فلتقدر أنت ثمنها إذن

أخرجت من معطفي بضعة جنيهاة وأعطيتها له وأنا لازلت أتمعن في وجه تلك الأميرة الفرعونية، في حين أخذ التاجر الجنيهاة وهو يهز رأسه كمن يشاور نفسه ويتردد بين رأيين ثم صاح وهو يضع الجنيهاة في الخزانة

- هذا لا يسر فرعون الجبار في مثواه، لقد كان شديد المحبة لابنته
قلت له ضاحكاً:

- وكأنك كنت معاصراً له وشهدت ذلك بأمر عينك

فأبتسم بدوره وحمل من يدي التمثال ولفه في نسيج من الحرير الأصفر المذيل بشعار المملكة و غلفه جيدا وأعادته لي مرة أخرى، وعدت إلى الفندق فرحاً بما جلبت معي، مما جعلني أضعها أمامي لأتأملها وأنا أقوم بتجهيز حقيبتني وما لبثت إن انتهيت من تجهيز أغراضي حتى غلبني النعاس، فرأيت فيما يرى النائم غرفتي كما هي على حقيقتها حتى أوشكت أن أحسبني في يقظة وأن ذلك لكوني ثملاً، لولا شعور مبهم أوحى إلى أنى أزال نائماً في هدوء وسكينه وإذا أمامي فتاة صغيرة السن طويلة وبها شيء من الاحتشام والهيبة، وكان لها عينان سوداوان ، ولوجها سمرة تمتزج بصفاء ورونق وحاجبين مقوسين وأنف كالسيف، محلاة الذراعين والمعصمين بأساور ذهبية مزينة بعين الأوجات، من فوق علامة "نب" الهيروغليفية، رمزا للحماية الأبدية، وكان شعرها مجدولا ضفائر صغيرة وقد ازدان صدرها بذلك العقد النحاسي المنحوت على المومياء ثم دنت

الفتاة من المائدة حيث تمثالها، وأبصرت دموعها تنحدر بعذوبة وهي تحادث تمثالها المحنط قلقاً وخوفاً مما قد يفعله به من أشتراه ورغبتها في العودة إلى وطنها مصر، ووجدتني أعلم من اللغة المصرية العتيقة أثناء رؤيائي ما لم أكن أعلم. عندها صحت : لا تقلقي أيتها الأميرة فأنا على أتم الاستعداد أن أعيدك إلى وطنك فسرت الفتاة بكلماتي ورمقتني بنظرة يملؤها الحمد والثناء وأشرفت عيناها من جديد وقالت: - سيبلغ السرور من أبي منتهاه، أصحبنى إليه تلاقى رحبا وسهلا.

ثم ناولتني يدها فألفيتها وارتحلنا في البداية انطلقنا كالسهم النافذ خلال الهواء الرقيق لا نرى إلا سماءً وبحراً وجبالاً في مشاهد بالغة السرعة، حتى اقتربنا أكثر من البنايات والتي يبدو المعمار فيها خليطاً من الفنون فكأنما التقت فيه على قدر جميع الأمم والشعوب في شتى الدهور والأزمان في تداخل رائع لم يسبق

أن رأيته من قبل، كان كل شيء يمر أمام عيناى
بسرعة لا تجعلى أتحقق من تفاصيله ، وقد بدأ
ضوء الصباح الخافت من الانسياب فاتجهت
الأميرة بسؤالى

- هل تود أن تشهد الشروق فى أروع صورته؟
- بالطبع

- فلننتظر قليلا هنا حيث النيل العظيم.
- اتجهت بنظري إلى موضع سكونها فوجدت
ممرًا من الماء العذب على ضفتيه يقف النخيل فى
بهاء يوحى لك بأنه مستقر فى موقعه منذ عمر ذلك
النهر، وبعد دقائق معدودة بدأت الشمس فى
الظهور من بين أمواجه الهادئة وكأنها تعانقه لتولد
من جديد بابتسامة مشرقة فى مشهد بديع
- جميلة هى بلادكم

- حقا فرغم ما مررت به من بلاد أوربية يبقى
لمصر طابع مميز لا تضاهيها أى مدينة أخرى
أخذت أتأمل كل ما حولى من مشاهد بديعة دون
شعور بالوقت حتى كدت أنسى لما نحن هنا ولم

يأخذني من نفسي إلا رغبة الأميرة في التحرك
من جديدة لملاقة والدها، وبعد لحظات لاحت لنا
مسافة شاسعة من المسلات التي تسمو في
السماء بشموخ وعلى جانبي الطريق إليها صفان
من تماثيل تشبه أبي الهول وصافت أنفي رائحة
ذكية لها عبق شرقي، عبق لم تستطع محوه أو
تبديده أربعة آلاف من السنين، حينها أدركت أننا
وصلنا إلى غايتنا ومن ثم اجتزنا دهاليز وغرف
منقوشة الجدران بالنقوش البديعة والطلاسم
الهيروغليفية التي تشرح الأساطير المنقوشة على
الصور في بدائع وعجائب من تحف الفن، وكانت
الأميرة سكوتا لا تزال تقبض على يدي وهي تلقي
السلام على أصحابها وعائلتها الموميات في حين
اعتاد بصري ذلك الضوء المختلط بالظلام وبدا لي
المكان واضح المعالم فرأيت ملوك عالم الأموات
على عروشهم شيوخا شييا عليهم الدروع من
خالص الذهب المرصع بالياقوت والزبرجد قد
جمدت عيونهم لا حراك بها كأعين التماثيل وبناة

الأهرامات يقفون على بعد منهم مجتمعين وكان
الملك شينكريس جالس على عرشه في وقار وحوله
حاشيته وعلى مرأى البصر حشود من الشعب
يصطفون في مشهد مهيب
ثم قدمتنى الأميرة سكوتا إلى والدها
- إن هذا السيد الكريم هو من أعادني إليكم
فأوماً برأسه وابتسم بوقار
وصاحت الجموع : هنيئاً لنا بعودتك إليها
الأميرة، فمئذ رحلت لم يبتسم أبوك
عندها أتجه الفرعون شينكريس نحوي وسألني
- من أين السيد؟ وما سنك؟
- فرنسي في الثامنة والثلاثون من العمر أيها
الملك العظيم
- وماذا تريد جزاء صنيعك؟
- أريد أن أقضى ما تبقى من عمري في بلادكم
يا سيدي
تدخلت الأميرة سكوتا قائلة

- لم ترى من بلادنا سوى الماضي ومثلك أنا، فما رأيته كان هو ما أعرفه عن بلادي عليك أن ترى الحاضر أولاً ربما أعجبك أكثر - ولكن عصركم يروق لي كثيراً فاستدار الملك نحوى ومسح بأنامله على شاربيه وألقى بنظرة متأملة إلى الفراغ وكأنه يستدعى إلى ذهنه شيء ما ثم بدأ يتحدث وقد انفرجت أساريره

- لقد حبا الله مصر بالكثير من العطايا منذ قديم الأزل وإلى عصركم ذلك، فقد جعلها جنته الأرضية ونحن على خلاف البشر أجمعين قمنا بحفظ أجسادنا لنجتمع ها هنا كل يوم و نشاهدها وهي تتجمل عبر التاريخ فرعونيا ويونانيا ورومانيا وعربيا وإسلاميا، ونقيم الاحتفالات كلما انتهوا من تزيينها بقناة السويس أو برج القاهرة أو السد العالي أو أنشئوا مدينة جديدة أو عمروا صحراؤها بالزراعة والصناعة وغيرها من روائع

الأعمال، فحاضرها كماضيها مفعم بالسحر
والجمال.....

استطرد الملك في وصفه عن مصر الجميلة حتى
حسبنتي أستمع إلى فيكتور هوجو وهو يتحدث
إلى حبيبته، وأخذت أستمع إليه و ذهني يتتبع
الصور التي يصفها، ثم سكت برهة واستأنفت
الكلام برنيسيس سكوتا وقد بدت آيات السرور على
وجهها

- كل ما أذكر كان مرتبطاً ببنينا السعيد حيث
يلتقي لديه الأفق بالسماء وتغدو أسراب الحمام
وتروح عبر البساط الأخضر من حوله حينها كنت
قانعاً بهذه المحاسن والمباهج لا ابتغي مزيداً ، إلا
إنني بت شغوفة لأبصر حاضرنا

- إنني على أتم الاستعداد لأصطحبك في تلك
الرحلة كذلك

ابتسمت الأميرة وأومأت بالموافقة، ولكن يبدو أن
وحدها التي لم تجد في عرضي ما يدعو إلى

الدهشة، حيث حلق في فرعون مستنكراً مطلبني
هذا

- قد يسهل عليك أن تعود للحاضر أما نحن فعلى
نقيض ذلك، ألا تعلم أن أميرة سنها ثلاثة آلاف
عام، وها قد عادت أخيراً إلى ديارها
هممت بالاعتراض لكن رنين الهاتف لم يمهلني،
فانتبعت من منامي دهشاً مذهولاً وتجولت بناظري
في أنحاء الغرفة ولكنني وجدت كل شيء كما هو
لا نقصان ولا زيادة، كل أداة من الأدوات في
مكانها، والمصباح تحت زجاجته يشتعل كعادته
والصور على الجدران كما هي والستائر مرخاة
فما من شيء حدث فاعتدلت لأجيب على اتصال
الفندق

- الوفد المرافق لك يا سيدي يستعد للرحيل، فهل
نستطيع أن نساعدك بشيء؟
- نعم، أريد حجز تذكرة طيران إلى مصر اليوم...
أنهيت الاتصال وعدت إلى المومياء أتفقدتها وأتذكر
ما مررت به في منامي، ما أعجب مصر وشأنها!

أحلام مصر هي الأبدية، وروائح مصر لها صلابة
الصوان وامتداد أجله، علنا أيتها الأميرة نلتقي
في عالم آخر يوماً ما..

خاتمة

الجميلات هنَّ الجميلاتُ
“نقش الكمنجات في الخاصرة”
الجميلات هنَّ الضعيفاتُ
“عرشُ بلا ذاكرة”
الجميلات هنَّ القوياتُ
“يأسُ يضيءُ ولا يحترق”
الجميلات هنَّ الأميراتُ
“ربَّاتُ وحي قلق”
الجميلات هنَّ القريباتُ
“جاراتُ قوسٍ قزح”
الجميلات هنَّ البعيداتُ
“مثلُ أغاني الفرح”
الجميلات هنَّ الفقيراتُ
“كالورد في ساحة المعركة”
الجميلات هنَّ الوحيداتُ
“مثل الوصيفات في حضرة الملكة”

الجميلات هنَّ الطويلاتُ
“خالات نخل السماء”
الجميلات هنَّ القصيراتُ
“يُشْرِبْنَ فِي كَأْسِ مَاءٍ”
الجميلات هنَّ الكبيراتُ
“مانجو مقشرةٌ ونبيدُ معتق”
الجميلات هنَّ الصغيراتُ
“وَعَدُّ جَدِيدِغَدَا وَبِرَاعِمِ زَنْبِقٍ”
الجميلات، كلُّ الجميلات، أنتِ
إذا ما اجتمعن لي أنبلَّ القاتلات

محمود درويش

الفهرس

- إهداء
- مواسم الضجيج
- احتراق
- شجرة التوت
- شهر زاد تحكي عن نفسها
- رسالة بتوقيع المرسل إليه
- مفترق طرق
- تعويض السماء
- شهادة رضيع
- أبيض وأسود
- المحبون يصمتون طويلاً
- إلى صديق لم أصادقه
- معطف من السعادة
- زهرة من الألم
- سكوتا

سَكُونًا

الفتيات كلهن جميلات عالمات
يستبشرن بأقل الأمور و يبتهجن
ينتظرن العلامات كالحق تمنلهن ابتسامه يتبعها
هالغ من الافكار و الاحلام وكانهن للتو وصلن
للسماء

خيوط النور المتدفقة من العلامات الاله نبضات
قلوبهن البائسة

تصنع من اجلهن قوس قزح ملون بالفرح
الفتيات كلهن طبيبات بسيطات

ينتظرن الاله السماء و يرددن يارب
ويكشن عن الاله اشارة بسيطه الاله قبول دعوتهن
كلمات تصادفها اعينهن او دعاء من احد هن

و ربما نبوءة غير موجه لها تحديدا
و حدها قلوبهن من يدرك وقع العلامات علاج

الانفس الطامعة للاطمئنان
الفتيات كلهن ينتظرن العلامات
ومثلهن هالغ

أبي محمد حماد

تصميم الغلاف : عمير نصر